

كشف الخفاء

1663 - طلب خاتمة الخير .

قال الشهاب بن أرسلان لم أزل أسمع على ألسنة الناس طلب خاتمة الخير ولم أجد له أصلاً يستند إليه حتى ظفرت به في الحلبة عن وهب بن منبه قال لما أهبط اﷺ آدم إلى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط عليه جبريل E فقال يا آدم هلا أعلمك شيئاً تنتفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال بلى قال قل اللهم آدم لي النعمة حتى تهئني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضربني ذنوبي اللهم اكفني مؤونة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة .

قال في المقاصد : بل روي عن نبينا E الدعاء بخاتمة الخير وقد سلف عنه وعن أبي بكر بعض ذلك في : الأعمال بالخواتيم : منها ما أخرجه الطبراني عن أنس بلفظ اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك ويروى أن أبا بكر الصديق كان يقوله ورأى بعض الصالحين النبي صلى اﷺ عليه وسلّم في النوم فقال يا رسول اﷺ ادع اﷺ لي قال فحسر عن ذراعيه ثم دعا كثيراً ثم قال ليكن جل ما تدعو به اللهم اختم لنا بخير .

ومما حكى بعض السادات أنه ينفع في ذلك قول يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أربعين مرة ختم اﷺ لنا بالوفاة على دين الإسلام .

وقال ابن الغرس وقد رأيت في شرح ابن قيم الجوزية لمنازل السائرين لأبي عبد اﷺ الهروي الأنصاري الحنبلي أن الإمام ابن تيمية كان يلزم على ذلك ويزيد برحمتك أستغيث . والمشهور بين الصالحين أن محل هذا الذكر الشريف بين سنة الفجر وصلاة الفجر .

وقال النجم بعد ذكر حديث الترجمة وما يتعلق به : وروى أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم وصحاه عن بسر بن أرطاة أن النبي صلى اﷺ عليه وسلّم كان يقول اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

والطبراني عن أم سلمة أن النبي صلى اﷺ عليه وسلّم كان يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلاء من الجنة .

وابن عساكر عن ابن عمر أنه صلى اﷺ عليه وسلّم كان يقول اللهم عافني بقدرتك وأدخلني في رحمتك واقض أجلي في طاعتك واختم بالخير عملي واجعل ثوابه الجنة .

وأحمد في الزهد عن الحسن قال بلغني أن أبي بكر كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك الخير في عافية اللهم اجعل آخر ما تعطيني الخير ورضوانك والدرجات العلاء من جنات النعيم .

ومما يناسب إيراده هنا ما نسب لبعضهم :

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة ... فاجعل إلهي خير عمري آخره .
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم ... وبحار جودك يا إلهي زاخرة .
آنس مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخرة .
فأنا المسكين الذي أيامه ... ولت بأوزار غدت متواترة .
يا رب فارحمني بجاه المصطفى ... كنز الوجود وذي الهبات الباهرة .
وبخير خلقك لم أزل متوسلا ... ذي المعجزات وذي العلوم الفاخرة